الأصل الخامس

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾

في إبطال التمثيل، وبيان طريقة القرآن في النفي

في كتاب الله آيات محكمات، تدل على توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ونفي مماثلة المخلوقين له في شيء من خصائصه، منها:

أولاً: قوله تعالى، في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [١١]. قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ليس يشبهه تعالى، ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال، وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء؛ لإنفراده، وتوحده بالكمال من كل وجه»(١).

ثانياً: قوله تعالى، في سورة الإخلاص: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [٤]. روى ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بسنده، عن

(١) تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (٤/ ١٥٨٤).

z:/MkT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuranya.3d | سحب خامس /pdf/الأصول القرآنية/

أبي العالية[(١)]: «لم يكن لَه شبيه، ولا عِدل، وليس كمثله شيء»[(٢)].

ثالثاً: قوله تعالى، في سورة النحل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [٧٤]. قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تمثلوا للهِ الأمثال، ولا تشبِّهوا له الأشباه، فإنه لا مِثْل له، ولا شِبْه»[(٣)].

وكما أن هذا ناطق الكتاب، فهو مقتضى العقل، فلا يمكن أن يكون الرب، المألوه، الكامل من جميع الوجوه، مماثلاً للمخلوق، المربوب، الناقص من جميع الوجوه. فإن هذا تأباه العقول السليمة، والفطر المستقيمة.

وطريقة أهل السُّنَّة والجماعة في النفي، والتنزيه، تقوم على ركنين:

الأول: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه نبيه ﷺ في سُنَّته، من غير تحريف، ولا تعطيل. فكل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه نبيه، فصفة نقص، ينزه الرب الكامل عنها.

الثاني: اعتقاد ثبوت كمال ضد الصفة المنفية، فإذا نفى الله عن نفسه الظلم، مثلاً، فالواجب اعتقاد ثبوت كمال

(١) أبو العالية: أبو العالية الرياحي، رفيع بن مهران، ثقة، كثير الإرسال، مات سنة ٩٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب (١٩٦٤).

(٢) جامع البيان (٣٠/ ٣٤٧).

(٣) جامع البيان (١٤/ ١٤٨).

z:/MKT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuraniya.3d | الأصول القرآنية/pdf/ سحب خاص

عدله، وإذا نفى عن نفسه الجهل، وجب اعتقاد ثبوت كمال علمه. وهكذا.

أما النفي المجرد من الإثبات، فلا يدل على كمال؛ إذ غاية ما فيه السلب، والعدم، وذلك لا يتضمن مدحاً؛ بل إن النفي المجرد قد يكون ذماً، في بعض الأحوال، مثل:

١ ـ عدم قابلية الموصوف للاتصاف بالصفة؛ كقولك: الجدار لا يظلم! فإن العدل، والظلم ليسا من أوصاف الجدران أصلاً. قال شيخ الإسلام، ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالَّذِي لَا يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، أَعْظَمُ نَقْصاً مِمَّنْ يَقْبَلُ الِاتِّصَافَ بِهَا، مَعَ اتِّصَافِهِ بِنَقَائِضِهَا. فَالْجَمَادُ الَّذِي لَا يُوصَفُ بِالْبَصَرِ، وَلَا الْعَمَى، وَلَا الْكَلَامِ، وَلَا الْخَرَسِ، أَعْظَمُ نَقْصاً مِنْ الْحَيِّ، الْأَعْمَى، الْأَخْرَسِ. فَإِذَا قِيلَ: إنَّ الْبَارِي لَا يُمْكِنُ اتِّصَافُهُ بِذَلِكَ، كَانَ فِي ذَلِكَ مِنْ وَصْفِهِ بِالنَّقْصِ، أَعْظَمُ مِمَّا إذَا وُصِفَ بِالْخَرَسِ، وَالْعَمَى، وَالصَّمَمِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ»[(١)].

٢ ـ العجز عن الاتصاف، المستلزم للنقص، والعيب؛ كقول شاعر، يهجو قبيلة:

قُبَيِّلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وإنما أراد أنهم أقل، وأذل من ذلك. وقول آخر يهجو قومه:

فإن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

(١) الرِّسَالَةُ التدمرية (٦٢).

z:/MkT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuranya.3d | سحب خامس /pdf/الأصول القرآنية/

وإنما أراد مذلتهم، وعجزهم عن حماية أفرادهم، بدليل قوله:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وقد ضل قومٌ، فبالغوا في الإثبات، وأخرجوا كلام الله عن مراده، حتى وقعوا في التمثيل. والتمثيل الباطل، نوعان:

أحدهما: **تمثيل الخالق بالمخلوق**: بأن يعتقد أن ما وصف الله به نفسه، على نحو ما يعهد في المخلوقين؛ كأن يعتقد أن سمع الله؛ كسمع المخلوق، وبصره؛ كبصره، ووجهه؛ كوجهه، ويديه؛ كيديه. وهكذا، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. وهذا تنقص للخالق. وأول من عُرف به، في هذه الأمة، قدماء الرافضة، فقد ذكر أبو الحسن الأشعري[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في مقالاته، أن المشبهة اختلفوا على ست عشرة مقالة، وحكى بعضها. وأكثر من حكى عنهم، معدودون من رجالات الشيعة؛ مثل: هشام بن الحكم الرافضي[(٢)]، وهشام بن سالم

(١) الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، كان من أئمة المتكلمين، ولد بالبصرة عام ٢٦٠هـ، وتلقى مذهب المعتزلة، وبرز فيه، ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ، ومن مصنفاته «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، و«الإبانة عن أصول الديانة» وغيرها. ولابن عساكر: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري».
انظر: الأعلام (٤/ ٢٦٣)، طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٥)، المقريزي (٢/ ٣٩٥)، ابن خلكان (١/ ٣٢٦)، البداية والنهاية (١١/ ١٨٧)، اللباب (١/ ٥٢).

(٢) هشام بن الحكم الكوفي الرافضي، المشبه، له نظر، وجدل، وتواليف =

z:/MkT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuranya.3d | سحب خامس /pdf/الأصول القرآنية/

الجواليقي[(١)]، وتلميذه داود الجواربي[(٢)(٣)]. غير أن مذهبهم قد انقرض، أو كاد، لشناعة مقالتهم، وتهافتها. وانقلب متأخروا الرافضة معطلة!

الثاني: **تمثيل المخلوق بالخالق**: بأن يعتقد في بعض المخلوقين أوصافاً، وخصائص، لا تكون إلا لله وحده. فهذا غلوٌّ في المخلوق؛ كأن يعتقد في المخلوق تصرفاً في الكون، وتدبيراً؛ كاعتقاد غلاة الصوفية في أقطابهم تصريف شؤون الكون، واعتقاد القبورية في أوليائهم الغوث، والمدد، وكشف الكرب، أو يعتقد لهم حقوقاً لا تنبغي إلا لله؛ كاعتقاد

= كثيرة، قال في مختلف الحديث: كان من الغلاة، ويقول بالجبر الشديد. وذكر عنه ابن حزم: أنه يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار، بشبر نفسه، ويزعم أن علم الله محدث. مات بعد نكبة البرامكة بمديدة مستتراً، وقيل: عاش إلى خلافة المأمون.
انظر: لسان الميزان (٦/ ١٩٤).

(١) هشام بن سالم الجواليقي: نسج على منوال هشام بن الحكم في التشبيه، وزعم أن الله نور ساطع يتلألأ، وله خمس حواس... إلخ من تخريفاته، وضلالاته.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٨٤)، مقالات الإسلاميين (٢٠٩).

(٢) داوود الجواربي: مشبه، أخذ مقالاته عن هشام بن سالم الجواليقي، وزعم أن الله جسم، وجثة على صورة الإنسان؛ لحم، ودم، وشعر، وعظم... إلخ. قال ابن حجر: رأس في الرافضة والتجسيم، من مرامي جهنم، وقال يزيد بن هارون: الجواربي، والمريسي كافران.
انظر: مقالته في الملل والنحل (١/ ١٨٧)، مقالات الإسلاميين (٢٠٩)، لسان الميزان (٢/ ٤٢٧).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٣).

z:/MKT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuranya.3d | سحب خامس pdf/الأصول القرآنية/

المشركين أن لأصنامهم حق الدعاء، والنذر، والذبح، والشفاعة، أو يغلو في وصف المخلوق بصفات لا تنبغي إلا لله؛ كغلو النصارى في عيسى ابن مريم، ووصفه بالرب يسوع، أو تسميته ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وغلو بعض المبتدعة في مدح نبينا ﷺ، ورفعه فوق منزلته التي أحلَّها الله إياها، حتى أنشد بعضهم، في مدحه:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حُلول الحادث العمِمِ
إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدمِ
فإن من جودك الدنيا وضرَّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلمِ

وهدى الله أهل السُّنَّة والجماعة، لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، فأثبتوا إثباتاً بلا تمثيل، ونزهوا الله تنزيهاً بلا تعطيل. قال نعيم بن حماد الخزاعي[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس ما وصف الله به نفسه، ولا رسوله، تشبيهاً»[(٢)].

وطريقة القرآن في التنزيه: (النفي المجمل)؛ لأنه أبلغ، وأوعب، وأكرم؛ فإنه مقتضى الأدب الرفيع، والذوق السليم،

(١) نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبد الله الخزاعي، المروزي. كان شديداً على الجهمية، امتحن في القول بخلق القرآن. توفي سنة ٢٢٩هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٥١٩)، تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤١٨)، السير (١٠/ ٥٩٥)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٨٥).

(٢) العلو للعلي الغفار، مكتبة أضواء السلف (١/ ١٧٢)، وصححه الألباني في مختصره (١٨٤).

سحب خاص z:/MKT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuraniya.3d | الأصول القرآنية/ pdf/

فلا يليق في مدح المخلوقين، فضلاً عن الخالق الكريم، التفصيل في نفي النقائص، والمثالب. قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا النَّفْيُ الْمُحددُ مَعَ كَوْنِهِ لَا مَدْحَ فِيهِ، إِسَاءَةُ أَدَبٍ، فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِلسُّلْطَانِ: أَنْتَ لَسْتَ بِزَبَّالٍ، وَلَا كَسَّاحٍ، وَلَا حَجَّامٍ، وَلَا حَائِكٍ! لَأَدَّبَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقاً. وَإِنَّمَا تَكُونُ مَادِحاً إِذَا أَجْمَلْتَ النَّفْيَ فَقُلْتَ: أَنْتَ لَسْتَ مِثْلَ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ، أَنْتَ أَعْلَى مِنْهُمْ، وَأَشْرَفُ وَأَجَلُّ، فَإِذَا أَجْمَلْتَ فِي النَّفْيِ، أَجْمَلْتَ فِي الْأَدَبِ»(١).

وربما وقع في النصوص، نفي مفصل، لأسباب عارضة، مثل:

أولاً: **إبطال عقيدة فاسدة**؛ كاعتقاد الوالد، والولد، والصاحبة، الذي كان جارياً عند اليهود، والنصارى، والمشركين، وسائر الوثنيين. فقد حكى الله مقالتهم، وأبطلها، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات: ١٥٨، ١٥٩]، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ٣]،

(١) شرح الطحاوية (١/ ٧٠).

z:/MkT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuranya.3d | سحب خامس /pdf/الأصول القرآنية/

وقال: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقال: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣].

ثانياً: دفع وهم واقع، أو متوقع؛ كتوهم لحوق التعب من جراء خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨]. أو توهم الحاجة إلى النوم، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»(١).

(١) صحيح مسلم (١٧٩).

z:/MKT2015/Jawzi/Mhkkmat/Usul-Kuraniya.3d | الأصول القرآنية/pdf سحب خامس